

اللوحة المسماري القانوني الوحيد من «تل القطار»

د. نزار حسن

استاذ مساعد في قسم القانون الخاص

جامعة حلب - كلية الحقوق



مقدمة :

«تل القطار» هو تل حصين صغير على الضفة الغربية لنهر الفرات بين «كركميش» و «إيمار» (مسكنة)، يقع في ريف محافظة حلب بين قريتي «يوسف باشا» و «خربة خالد» التي تقع على قاعدة «جبل خالد».

عندما انتهى العالم الأثري (R.Dornemann) من أعمال السبر الأولى التي أجراها عام 1976 م خلال موسم التنقيب الثالث في «تل حديدي» (12 كم جنوب تل القطار)، كان من نتائج هذا السبر التأكيد على أن أطلال «تل القطار» تعود على الأغلب إلى العصر البرونزي، وباستثناء هذه المحاولة لم تجر اهتمامات سابقة بـ «تل القطار» في أيامنا المعاصرة.

بناءً على هذه المعطيات، قررت إدارتنا «التاريخ والدراسات الشرق أوسطية» في جامعة (Melbourne) الأسترالية إرسال بعثة تنقيب أثرية إلى هذا الموقع، وتم الموسم التنقيبي الأول لهذه البعثة في «تل القطار» من ١١ / ١٢ / ١٩٨٢ حتى ١٧ / ٢ / ١٩٨٣¹.



تدل المعطيات الأثرية على أن التل قد استوطن في العصر البرونزي المتأخر (١٥٥٠ - ١٢٠٠ ق.م) وأنه قد تعرض لنهاية فجائية، كما يدل على ذلك الحطام الرمادي والسوية الرقيقة المحروقة من التل.²

وقد أتى دليل الهيمنة الحثية على إقليم "القطار" من تل "أبوجلجل" (يبعد حوالي ١٠ كم من تل القطار) حيث اشترى (L.Woolley) و T.E.Lawrence ثلاثة أختام طينية من عهد الإمبراطورية المتأخر، والأختام المذكورة محفوظة حالياً في متحف Ashmolea³.

طابق العالم الإيطالي "A.Archi" من الناحية التاريخية بين "تل القطار" و "تل أبو شالمانسر" الذي أشير إليه من قبل "883" (858. Ashurnasirpal II ق.م) و Shalmaneser (III)، حيث تلقى الأول (أشورناصربال الثاني) من حاكم "تل أبو" جزية مقدارها (٤ مينة من الفضة و ٤٠٠ شاة) وفرض عليه جزية سنوية مقدارها ١٠ مينة من الفضة، وتلقى الثاني

¹ - W. Culican . T. Mecclellant . El-qitar :First Season of Excavations .1982-1984 . Abr-Nahrain . vol (XXII) 1983-1984. P 29

² - Ibid - P 39

³ - Culican - op.cit . P 56

(شلمنصر الثالث) جزية من "تل أبو" بعد تدميره عدة قرى.

اعتمد "أركي" هذه المقارنة بناءً على أن "تل القطار يقع الآن على بعد ٢٢ كم جنوب "تل أحمر/تل برسيب" وهو المركز الرئيسي لـ "بيت عديني" (وهي المملكة المجاورة لتل أبو)، وبالإضافة لذلك يرى "أركي" أن "تل القطار" كان "الحصن الوحيد في العصر البرونزي المتأخر"⁴

تتصب دراستنا على اللوح المسماري الوحيد المكتشف في الموسم التنقيبي الأول في "تل القطار"، حيث عثر في الغرفة رقم (٣) المجاورة للبناء رقم (١٢) على لوح مسماري (Cuneiform Tablet) أخذ الرقم (Q82.19) مع مغلفه المختوم⁵.

يعد هذا اللوح وثيقة قانونية (alegal Document) من العهد الآشوري الوسيط (حوالي ١٣٠٠-١٢٠٠ ق.م)⁶.

خطة البحث :

سنعرض في البداية ترجمة لنص اللوح المسماري المكتشف قام بها العالم "Snell"، ثم نعالجه من الناحية القانونية الشكلية، ونتطرق بعد ذلك إلى دراسته من الناحية القانونية الموضوعية.



١- ترجمة نص اللوح المسماري :

المغلف :

اللوح الموضوع في شأن "بنوة" (Anani-Sarri)

التي أنشأها (Senne-Sarri) بن (Tihae).

اللوح :

١- ٢: الختم الأسطواني لـ (Pahi Tahese) كاهنة

⁴ - A. Archi .. A seal Impression from El-qitar / Tell Abnu (Syria). Anatolian Studies . vol (XLIII). 1993. P 206

⁵ - Culican - op.cit . P 58

⁶ -D. Snell .. The Cuneiform Tablet from El-qitar . Abr- Nahrain .vol (XXII). 1984. P159

إله الطقس.

3. 5 : (Senne-Sarri) بن (Tihae) وبكامل إرادته، قرر

الأمر التالي :

6. 10 : هكذا قال، ما يلي : (Agi-Simeia) ابني الأكبر ، و (Anani-Sarri) ابني أيضاً ، و (Hindi-Salasu) زوجة (Anani-Sarri) التي اعتبروها كابنته .

11. 12 : الحصة لكل واحد منهم ، دعهم يتشاركون كالأخوة.

13. 14 : إذا صرّح أحد منهم لـ (Senne-Sarri) بن (Tihae)

15. 18 : بعدم الموافقة ، فليضع الملابس على الكرسي ، وليخرج من منزل ” اللباس ؟“

19 : (Alla-Niri) ابنته

20. 22 : (Sini-kusa) ابنه، أخوه (Agi-Simeia) بن (Senne-Sarri)

كتبوا أدناه:

23. 24 : أقمت آلهة والدي كشهود .

25. 32 : أمام (Sasahuadale) بن (Unap-Sene)

أمام (Ari-Kusa) بن (Sieli)

أمام (Sigilada) بن (Eki-Dagal)

أمام (Sagi-Sarruma) بن (Seisse)

أمام (Agae) بن (Kiba)

أمام (Amumae) الناسخ ابن (Talmae)

33. 36 : (الحافة اليسرى لللوح)

دعه يعلم ابن (Agi-Simeia) ، بدلاً من العمل في الملابس ؟

دعه يمكث في المنزل⁷

٢- الجوانب القانونية الشكلية :

يثير اللوح - محل الدراسة - عدداً من النقاط المتعلقة بالجوانب القانونية الشكلية ، منها على سبيل المثال ، تصديق كاهنة إله الطقس ووضع ختمها على اللوح ، ووضع اللوح القانوني في مغلف طيني مختوم ، وحضور الشهود، وأسلوب الصياغة والتأريخ و تبعية الأشخاص المذكورين في اللوح، ودلالات بعض الصيغ الرمزية الواردة في اللوح.

٢.١ - ختم كاهنة إله الطقس :

ارتبط استخدام الأختام - بشكل عام - مع تمييز الملكية وإدارتها ، وتنظيم المخازن وازدهار شبكات التبادل التجاري سواء على الصعيد المحلي أو الإقليمي، واستخدام الختم كرمز للدلالة على الملكية ، وحماية الصناديق والأوعية والجرار من استخدامها بشكل غير شرعي أو العبث بها من قبل الغير، وبالنتيجة سمحت الأختام بدرجة معينة من السيطرة على شبكات التبادل التجاري⁸ ، كما استخدمت الأختام للتوقيع على الوثائق القانونية كشرط قانوني شكلي.



وقد ورد في السطرين الأول والثاني من اللوح أنه قد ختم بختم أسطواني عائد لكاهنة إله الطقس. فما هو السبب الداعي إلى ذلك ؟ وما هي دلالات الختم في هذه الحالة من الناحية القانونية ؟

كان لكاهنات إله الطقس سلطة ونفوذ في ذلك الإقليم⁹ ، وكان وجودهن شائعاً في تلك الفترة والبقعة الجغرافية أيضاً¹⁰ ، ولذلك نرى أن العنصر الأول من اسم الكاهنة قد ورد في ألواح ”نوزي“¹¹ (غربي الموصل)

⁷ - Snell . op.cit . PP 161-162

⁸ - K .Duistermaat. The Seals and Sealing .in : P. Akkermans (ed)..Tell Sabi Abyad . The Late Neolithic Settlement .vol (II) . 1996. Istanbul . P 370

⁹ - Archi - op.cit . P 205

¹⁰ - Snell - op.cit . P164

¹¹ - Archi - op.cit . P 205

يبدو أن شهادة الشهود على مضمون اللوح القانوني كانت تجري أمام كاهنة إله الطقس¹² التي تؤكد قانونية هذه الشهادة بختمها المطبوع على اللوح.

ويمكن القول بأن شهادة الشهود لا تعد قانونية إذا لم تؤدي أمام كاهنة إله الطقس، الأمر الذي تم مراعاته في اللوح محل الدراسة.

٢.٢ - حفظ اللوح في مغلف طيني مختوم :

تمت الإشارة سابقاً إلى أن اللوح القانوني قد وجد في مغلف مختوم (Sealed Envelope). فما هي الحاجة أو الضرورة إلى إيداع اللوح في مغلف مختوم؟ وما هي دلالات طبغات الختم على المغلف الطيني؟

لا يعد وضع الألواح في مغلف مختوم حالة قانونية استثنائية بهذا اللوح، لأن هذه الظاهرة قد وجدت في ألواح قانونية من مواضع أخرى من سورية، وعلى سبيل المثال غلّفت كثير من الألواح المكتشفة في "ترقة" (تبعد ٦٠ كم عن ماري) عاصمة مملكة "خانة" بمغلفات طينية، وأعيد في الغالب في هذه المغلفات كتابة نص اللوح المحفوظ كنسخة كربونية، وفي حالة حدوث خلاف على صحة العقد، يفتح المغلف أمام القاضي، ويعد اللوح المحفوظ داخل المغلف الطيني هو الملزم قضاءً¹³، وفي حالة نادرة غلّف لوح يتضمن عقداً من "ترقة" بمغلفين طينيين، وليس بواحد فقط¹⁴.

ويكمن الفارق بين مغلفات الألواح في مملكة "خانة" ومغلف لوحنا - محل الدراسة - أن المغلفات الأولى تضمنت على الغالب تكرار مضمون نصوص الألواح المحفوظة فيها، بينما نجد أن مغلف لوح "تل القطار" لم يتضمن سوى عبارة موجزة (أشبه بالعنوان أو ذكر مختصر مضمون العقد) وفيها حُدّد مضمون النص بأنه يتضمن "وثيقة بنوة من شخص لآخر"

¹² - Snell - op.cit . P164

¹³ - G. Buccellati . B Marilyn Kelly . . "Terqa and the Kingdom of Khana ". in :H. Weiss .. ed .. Ebla to Damascus . Art and Archaeology of Ancient Syria . Smithsonian Institution . Washington.1984. P 219

¹⁴ - G. Buccellati .. Introduction . in : Terqa Final Reports NO.1.Bibliothica Mesopotamica .vol (16) . 1984 . p VIII

ويمكن القول بأن الغرض من وضع اللوح في مغلف مختوم هو حفظ اللوح من العبث به أو تحريفه، بالإضافة إلى أن فض المغلف والإطلاع على اللوح للاحتجاج بالوثيقة القانونية المودعة فيه يتم أمام القاضي عند النزاع القضائي بين الأطراف، أما الحجية القانونية فلا تكون للمغلف المختوم، وإنما للوح المودع فيه والمختوم من كاهنة إله الطقس، وعندئذ يعطي هذا المغلف الطيني ضماناً بأن اللوح لم يعبث فيه أو يحرف مضمونه قبل عرضه على القاضي عند حدوث النزاع القضائي.

ومن الملاحظ أن الختم قد طُبِع على ست جهات من المغلف الطيني، وأن طبعات الختم قد اشتملت على صور إله الطقس، وإلهة (ربما هي Hepat التي تعود في أصلها إلى الإلهة Halabatu سيدة حلب في نصوص إيبلا)¹⁵، وصورة تمثل إله النهر (ربما نهر الفرات لأن تل القطار يقع على الضفة اليمنى للنهر) والإله الحامي للحيوانات والحقول، وفي القسم المركزي من طبعة الختم وجدت كتابة هيروغليفيه حثية، ومن الجدير بالذكر أن لهذه الطبعات نظائر في طبعات الأختام الحثية في أوغاريت وإيمار من القرن الثالث عشر قبل الميلاد¹⁶.

تؤكد طبعات الختم الحثية - التي عدّها الأثريون فريدة واستثنائية - الهيمنة الحثية على إقليم "تل القطار"، وقد استخدمت هذه الطبعات في الأسلوب نمطاً مغايراً للأسلوب الحوري - الميتاني¹⁷.

ومن اللافت للنظر أن المنقبين الأثريين أو دارسي اللوح لم يشيروا إلى عائدة هذا الختم، ونرجح بأنه يعود لصاحب الوثيقة القانونية وهو (Senne-Sarri)، لأنه في ظل عدم وجود ختم صاحب العلاقة القانونية، لا يوجد دليل قانوني على أنه واضعها، ولا يمكن الاحتجاج بها قانوناً أمام القضاء أو في مواجهة المدعين الآخرين، لأن الختم في الأزمان القديمة استخدم بمثابة التوقيع في الوثائق القانونية الحديثة.

٢-٣ - حضور الشهود :

ورد في الأسطر (٢٥.٢٢) أن التصرف القانوني قد تم بحضور ستة شهود معينين بأسمائهم وأسماء آبائهم، ومن بينهم ناسخ النص القانوني على اللوح.

¹⁵ - A. Archi ., Studies in the Ebla Pantheon II. Orientalia. vol. 66. fasc. 4 . 1997 . P 418

¹⁶ - Archi . A seal Impression .op.cit . P 204

¹⁷ - Culican - op.cit . P 31

نشير في هذا الصدد إلى أن ظاهرة حضور وتعدد الشهود في الوثائق القانونية كانت شائعة في ممالك سورية القديمة كمملكة "خانة"¹⁸، ومملكة ماري¹⁹، ومملكة إيمار²⁰، ومملكة أوغاريت²¹، وفي الوثائق القانونية الآرامية من "شويخ فوقاني"²²، و"غوزانا، تل حلف"²³، والنواضح أيضاً أن تعدد الشهود كان مطلوباً، وإن لم يكن محددًا بعدد معين من الشهود، وعلى سبيل المثال شهد على أربعة عقود من موقع "تل شيخ حمد" أعداد مختلفة من الشهود، حيث شهد على العقد الأول ثمانية شهود، وعلى العقد الثاني تسعة شهود، وعلى العقد الثالث عشرة شهود، وعلى العقد الرابع خمسة عشر شاهداً²⁴.

ولعل الغرض من تعدد الشهود في الوثائق القانونية السورية القديمة عامة هو ضمان خلو التصرف القانوني من عيوب الإرادة من جهة، والحرص على علانية التصرف القانوني من جهة أخرى.

وينفرد لوح "تل القطار" بأن شهادة الشهود ينبغي أن تؤدي أمام كاهنة إله الطمس كي تنتج آثارها القانونية، وتكون صحيحة أمام القضاء.

ومن الملاحظ أن منشئ الوثيقة القانونية أضاف إليها ثلاثة أسطر (الأسطر ٣٣-٣٦) في

الحافة اليسرى للوح، فهل تعتمد شهادة الشهود بالنسبة لنص الوثيقة فقط؟ أم تشمل النص

والإضافة أيضاً؟

¹⁸ - Duistermaat .op.cit . P370

¹⁹ - W. Lambert .. "The Language of A ret V6 and 7". In:Fronzaroli ed..Literature and Literary Language at Ebla . Universita di Firenze . 1992 . P164

²⁰ - C. Zaccagnini .. Feet of clay at Emar and Elsewhere . Orientalia . vol .63 .fasc. 1 . 1994. P3

²¹ - P. Miller .. " The Marzh Text" .in : FISHER L. ed.. The Claremont Ras Shamra Tablets . Pontaficum Institutum Biblicum . Roma . 1971 . p 42

²² -F. Fales ..An Aramic Tablet from Tell Shioukh Fawqani .Syria . Semitica .vol .46 . 1996. P 91

²³ - T. Kwasmal. Tow Aramic Legal Documets. Bulletin of School of orient and African Studies.vol. 63.no. (2).2000. P275

²⁴ -N. Postgate .. "The Four " New- Assyrian " Tablets from SEH HAMAD . State Archives of Assyria Bulletin .vol (VII) .issue (2) . 1993 . P 112 . 115 . 117. 119

من الراجح أن شهادة الشهود تعد قائمة بالنسبة للنص والإضافة معاً، مادام اللوح قد حفظ في مغلف طيني مختوم، مما يدل على أن هذه الإضافة قد حظيت بموافقة مُنشئ الوثيقة.

٤.٢ - أسلوب الصياغة، التاريخ، تبعية الأشخاص :

١.٤.٢ - أسلوب الصياغة :

صيغت الوثيقة القانونية بما يعرف بـ ” الأسلوب الحثي - السوري ”²⁵، أي صياغة الوثيقة بنص عريض، ويقابله ” الأسلوب السوري ” وهو صياغة الوثيقة بنص طويل²⁶.

يشترك النص - محل الدراسة - مع نصوص إيمار من حيث الشكل، ولكنه كتب بنموذج المقطعية الآشورية الوسيطة، بينما كتبت نصوص إيمار بالأكادية الغربية المحيطة²⁷.

٢.٤.٢ - التاريخ :

لم يوجد تأريخ على اللوح المذكور، ولكنه أرجع للعهد الآشوري الوسيط (حوالي ١٣٠٠ - ١٢٠٠ ق.م)²⁸، بناء على المعطيات الأثرية المتعلقة بالتل عامة، وبمكان اكتشاف اللوح خاصة.

٣.٤.٢ - تبعية الأشخاص :

من الملاحظ أن أغلب الأسماء في النص هي أسماء ” حورية ”، ويبدو أن وجود الحوريين في ” تل القطار ” ليس مستغرباً، لوقوع هذا التل في محيط حضاري ” حوري ”²⁹.

٥.٢ - دلالة بعض الصيغ الرمزية :

ورد في النص بعض الصيغ الرمزية أو التي تحتمل أكثر من تفسير، مثل عبارة ” كتبوا أدناه: أقمتم آلهة والدي كشهود ” وعبارة ” إذا صرّح أحدهم لـ بعدم الموافقة، فليضع الملابس على الكرسي، وليخرج من منزل الملابس؟ ”

²⁵ - Snell . op.cit . P 159

²⁶ - R. Westbrook . R . Jasnow. Security for Debt in Ancient Law . Leiden . 2001. P 237

²⁷ - Snell . op.cit . P 159

²⁸ - Snell . op.cit . P 159

²⁹ - Snell . op.cit . P 161

٢.٥.١ - وضع الآلهة كشهود :

وجد شبيه لهذه الصيغة في نصوص إيمار التي تعالج موضوع نقل الحق في التضرع لآلهة الآباء إلى الورثة³⁰.

ويرى (Schmidt) أن (Snell) اقترح بأن عبارة ” أضع آلهة والدي كشهود ” في نص ” القطار ” تشير إلى الأسلاف كما في ” نوزي ” و ” إيمار ” ، على الرغم من أن النصوص المشابهة تتعلق بتنظيم موضوع الإرث ، وتعلق بآلهة البانثيون (المجمع) والآلهة الشخصية الذين استخدموا عامة كشهود على الاتفاقات القانونية ، وانتهى إلى القول بأن هذه الآلهة لا تمثل ” أرواح السلف ” وإنما تمثل الآلهة العامة أو الشخصية³¹.

أما (Toorn) فقد ذهب إلى القول بأنه ليس من السهل التيقن إذا كانت الآلهة المقصودة هي الآلهة بالمعنى العادي للكلمة (الآلهة العامة أو الآلهة الشخصية) أو المقصود بها أرواح الأسلاف³² ، وهو ما نرجحه نتيجة إيجاز النص من جهة ، وعدم اكتشاف ألواح أخرى من ” تل القطار ” لتساعد على المقارنة والوضوح في التفسير.

٢.٥.٢ - وضع الملابس على الكرسي والخروج من المنزل :

وردت صيغة ” وضع الملابس على الكرسي والخروج من المنزل ” في سياق الرد على من يريد الاعتراض من الأبناء على مضمون الوثيقة القانونية ، أي في صدد عقاب من يحاول من أفراد الأسرة مخالفة مشيئة وإرادة رب الأسرة.

من نافلة القول أن هذه الصيغة ليست استثنائية بهذه الوثيقة فقط ، وإنما ورد ما يشابهها في كثير من الوثائق من سورية القديمة ، وعلى سبيل المثال وردت صيغة وضعها أب على ولديه فيما إذا لم يخدم أو يُجلا أمهما بعد وفاته بقوله ” سوف يضع ثوبه على مزلاج الباب ويخرج إلى الشارع ” ، وقد فسرها الباحثون بأنها صياغة قانونية شكلية ترد في العقود ، وتدل على الحرمان من حق الإرث وعدم الرجوع إلى حظيرة العائلة³³.

³⁰ - Snell , op.cit . P 165

³¹ - B.Schmidt .. The Gods and the Dead of the Domestic Cult at Emar : A reassessment. in: M.Chavalas.. ed.. Emar : The History ,Religion ,and Culture of the a Syrian Town in the late Bronze Age . CDL Press .Petesda . Maryland . 1996 . P 151fn .

³² - K. Van Der Toorn .. . The Domestic Cult at Emar. Journal of Cuneiform Studies. vol (47) .1995. PP 39 - 41fn

³³ -A. Kilmer.. . Symbolic Gestures in Akkadian Contracts from Alalakh and Ugarit . Journal of the American Oriental Society . vol .94. no. 2 . 1974 . PP 181-182

وبالتالي فإن هذه الصياغة تدل على الحرمان من حق الإرث، وعدم الرجوع ثانية إلى نطاق العائلة، وهي بذلك عقوبة تفرض على من يخالف مشيئة رب الأسرة فيما سطره في الوثيقة القانونية.

٣- الجوانب القانونية الموضوعية :

تسجل الوثيقة القانونية . محل الدراسة . تصرفاً قانونياً يدخل في نطاق القانون الخاص ، ويستحق التسجيل فمن عبارات الوثيقة من الناحية الموضوعية الإشارة إلى أن التصرف القانوني قد أنشئ بـ ” كامل إرادة ” رب الأسرة، وبذلك تدل الوثيقة على قدرة الإرادة على إبرام التصرفات القانونية، وعلى ضرورة خلو التصرف القانوني من عيوب الإرادة ، وقد وجد مثل لهذه الصياغة في وثائق قانونية في مواضع أخرى من سورية القديمة³⁴ . كالعبارات التي ترد في وثائق ” مملكة إيمار مثل عبارة: وقلوبهم راضية ”³⁵ ، أو ” وقلبه راض ”³⁶ عند إبرام التصرفات القانونية، وترد نفس العبارة الأخيرة في العقود الآرامية³⁷ .

وقد اختلف في توصيف المضمون الحقيقي للتصرف القانوني، حيث أشار العالم الإيطالي ” أركي ” إلى أن الوثيقة مخصصة لعملية ” التبنّي الذي قام به ” Senne-Sarri ” كما أشير لذلك على مغلف اللوح، وبذلك يكون ” أركي ” قد استعان بمغلف اللوح في معرفة مضمونه القانوني من دون دراسة أو تعمق في تفاصيل اللوح القانونية³⁸ .

وذهب ” Snell ” إلى القول بأن النص يعرض ” تحديد رب العائلة للأشخاص الذين سوف يشتركون أو يتقاسمون الإرث العائلي ”³⁹ ، أي أن النص يتعلق بـ ” تنظيم المسألة الإرثية العائلية ” الخاصة بأحد الأشخاص في ” تل القطار ” .

³⁴ R. Westbrook., The Phrase “ His Heart is Satisfied “ in Ancient Near East Legal Sources . Journal of the American Oriental Society, vol.111, no(2), 1991 . P 219

³⁵ S. Dally .B. Teisser .. Tablets from the Vicinity of Emar and Elsewhere . Iraq .vol (LIV) . 1992 . P 98

³⁶ C. Beckman . Three Tablets from the Vicinity of Emar . Journal of Cuneiform Studies .vol .40. no (1) . 1988 . P 66

³⁷ H.Z. Szubin .B. Porten .. Litigation concerning Abandoned Property at Elephantine. Journal of Near Eastern Studies. vol . 42 . no. 4 . 1983 . P 280

³⁸ Archi . A seal Impression . op.cit . P 205

³⁹ Snell . op.cit . P 164

ونرى أن النص القانوني- محل الدراسة- يختلف سواء من حيث الشكل أو المضمون عن الوثائق القانونية الخاصة بالتبني التي وجدت في مواضع أخرى من سورية القديمة، كمملكة "خانة"⁴⁰، أو مملكة "إيمار"، حيث ترد في وثائق التبني عبارات متكررة شائعة مثل "جعلت فلاناً ابناً لي" أو "إذا قال (المتبني) لـ (المتبني): أنت لست أبي... " أو "إذا قال (المتبني) لـ (المتبني) أنت لست ابني"⁴¹، حيث يسجل في وثيقة التبني التبعات القانونية المترتبة على فسخ العقد من قبل أحد الطرفين. ومن الملاحظ أن هذه المعايير الشكلية والموضوعية متقدمة في النص القانوني- محل الدراسة-. ولذلك يمكن القول بأن النص لا يرتبط بشكل مباشر بتأسيس عملية "تبني". وإن كان من أغراضه تثبيت ضمني لتبني سابق، حتى ولو كتب على مغلف اللوح ما يشير إلى أن غرضه الأساسي هو إقامة عملية "تبني" شخص لآخر.

ونؤكد ما ذهب إليه "snell" بأن اللوح يسجل "تنظيم مسألة إرثية عائلية خاصة بأحد الأشخاص في تل القطار" حدد فيها الأشخاص الذين سوف يستحقون الإرث من تركته في المستقبل، وحدد فيه النصاب الإرثي للأشخاص المذكورين في اللوح، وأدخل تعديلاً على مستحقي التركة من خلال إعلان رغبته بأن يدخل في قائمة ورثته ابناً له بالتبني مع زوجته.



ويقدم التعديل الذي أدخله رب الأسرة على قانون الوراثة الدليل على ما أشارت إليه "Lafont" حول إمكانية الاعتراف للشخص بمفرده في شمال سورية القديمة بالقدرة على إنشاء قواعد قانونية خاصة به، حيث وجدت أمثلة عديدة لمثل هذه القدرة أو الإمكانية، بينما لا نجد مثيلاً لذلك في بابل. ويؤكد مقولة "Westbrook" حول "الإبداع أو الخلق القانوني" الذي تميزت به النصوص القانونية السورية القديمة، عبر محاولة التوفيق بين رغبات الأفراد ومبادئ القانون العام المطبق في المحاكم⁴².

ورغم هذا التوصيف القانوني، فإنه ما تزال تعترضنا بعض المصاعب في محاولتنا فهم تفاصيل الوثيقة القانونية بسبب غموض طبيعة بعض أنواع القرابات في الأسطر (١٩-٢١) من الوثيقة، وبالتالي سوف نقدم عدة ملاحظات نحاول من خلالها أن نقدم تفسيراً لمضمون النص ودلالاته.

⁴⁰ - C. Padony .. An adoption and Inheritance contract from the reign of IGGID – LIM of HANA. Journal of Cuneiform Studies. vol (43- 44). 1988. P 47

⁴¹ - Dally. op.cit . P 98

⁴² - R. Westbrook .. Social Justice and creative Jurisprudence in late Bronze Age Syria - Journal of the Economic and Social History of the Orient. vol. 44. no(1). 2002 . P22

ويبدو وجود ثلاثة أسئلة حول النص نراها جديرة بالاهتمام والدراسة :

- ١- في أي معنى دعي هذا اللوح ” لوح ... بنوة ” ، كما سجّل ذلك على مغلف اللوح ؟
 - ٢- من هما (Alla-Niri) و (Sini-kusa) الوارد اسمهما في السطرين (١٩- ٢٠) ؟
 - ٣- ما الصلة بين الحاشية التي سطرّت على حافة اللوح وبقية مضمون اللوح ؟
- ٢- ١ . دلالات التبني بين مغلف اللوح ونصه :

يظهر اللوح بوضوح أنه لا يسجّل عملية ” تبني ” ، كما أشرنا لذلك آنفاً ، ولكن التأكيد في السطر السابع من اللوح على أن (Anani-Sarri) هو أيضاً ابن لرب الأسرة ، يدل على الأرجح على أنه ولد بالتبني لرب الأسرة ، يضاف لذلك أن زوجة الولد المتبنى قد تم تبنيها بدورها واعتمدت كوريثة لزوجها ، ربما من قبل كامل الأسرة في ضوء صيغة الجمع الواردة في السطر العاشر من الوثيقة (اعتبروها) .

وقد ذكر ” Snell ” أنه من الممكن أن حرف ” الهاء ” في كلمة ” ابنته ” تشير إلى رب الأسرة وليس للزوج ، على الرغم من أن رب الأسرة يملّي الوثيقة بصيغة المتكلم ، والواضح أن الغرض الأساسي من هذه الوثيقة القانونية هو ضم الولد المتبنى (Anani-Sarri) وزوجته إلى قائمة مقتسمي التركة ، وأضاف ” snell ” بأننا لا نستطيع فهم أسباب تبني الأب لـ Anani ولزوجته أيضاً⁴³ ؟

ونميل إلى القول: بأنه من المحتمل أن تكون زوجة المتبنى هي في الواقع ابنة رب الأسرة ، وعندما تم تبنيها كوريثة لزوجها كان الغرض من ذلك أن تشترك معه في الإرث ، مادام زوجها سيشارك في إرث والدها كابن متبنى له ، وبالتالي تصبح وريثة لوالدها في المستقبل لضمان حقها في أملاك والدها من جهة ، وحرصاً على عدم خروج أملاك العائلة إلى خارج نطاق الأسرة ، وبذلك يشترك الجميع في اقتسام تركة رب الأسرة وكأنهم أقرباء حقيقيون .

٢- ٣ . حقيقة وضع بعض الأشخاص في الوثيقة :

من الراجح أن (Alla-Niri) و (Sini-kusa) الوارد اسميهما في السطرين (١٩- ٢٠)

⁴³ - Snell . op.cit . P 170

من اللوح أنهما ” ابن ” و ” ابنة ” لرب الأسرة ،ويثور تساؤل حول طريقة ذكرهما في اللوح ،لماذا لم يذكر في مطلع اللوح مع الابن الأكبر ؟

نميل إلى القول: بأن سبب ذكر ” الابن الأكبر ” في مطلع اللوح مع الابن المتبنى ،و في نفس الوقت تأخير ذكر اسم ” الابن ” و ” الابنة ” إلى الأسطر (١٩ - ٢١) من اللوح ،هو التأكيد على أن الابن البكر سوف يتلقى حصة إرثية واحدة ،كالولد المتبنى وزوجته أيضاً ،وبالتالي سوف ينال كل واحد منهم حصة إرثية واحدة وليس حصتان كما جرت العادة في وثائق قانونية أخرى من مواضع مختلفة في سورية القديمة بالنسبة للولد الأكبر ،حيث تلقى الأخير في نصوص قانونية من مملكة ماري حصة إرثية مضاعفة ،أي كان له معاملة إرثية متميزة⁴⁴ .وقد وجدت مثل هذه المعاملة التفضيلية للابن الأكبر في ممالك ماري و أوغاريت و الألاخ⁴⁵ ،كما تلقى الولد بالتبني في مواضع أخرى من سورية حصة إرثية مضاعفة كما جرى ذلك في وثائق قانونية من مملكة ماري⁴⁶ ،ومملكة ” خانة ”⁴⁷ .

وبالتالي يكون مبرر ذكر الولد الأكبر مع الولد بالتبني معاً في مطلع الوثيقة القانونية منع أي خلاف مستقبلي على مقدار الحصاص الإرثية لكل منهما بالتساوي مع بقية الأخوة وهما (Niri) و (Sini-kusa) اللذان تأخر ذكرهما إلى السطرين (١٩ . ٢٠) من الوثيقة ، ونرى أنه لا توجد إشكالية في تأخر اسميهما ،لأنه لا خلاف على أحقيتهما في تلقي حصة إرثية واحدة مقارنة مع الأخ الأكبر والأخ بالتبني،والدليل على ذلك أن جميع الأخوة وبصيغة الجمع ” كتبوا أدناه ” أنهم أشهدوا آلهة أبيهم كشهود على التزامهم بمضمون الوثيقة القانونية التي وضعها رب الأسرة.

يتضح كذلك من خلال هذه الوثيقة القانونية المساواة التامة بين الذكر والأنثى في ” تل القطار ” في المعاملة فيما يتعلق بالحقوق الإرثية ،وهو ما عبر عنه رب الأسرة بعبارة ” دعهم يتشاركون كالأخوة ” .

ويبدو أن السبب الداعي إلى تنظيم هذه الوثيقة القانونية هو زواج ابنة رب الأسرة (Hindi - Salasu) من (Anani-Sarri) ،وضماناً لحقها في الإرث تم تبني زوجها وإعطاؤها حصة إرثية كباقي أفراد الأسرة ،وبالنتيجة نجد أن زواج الابنة قبل وفاة الأب لم يفقدها عملياً حقها الإرثي في أملاك والدها .

⁴⁴ - B. Johannes .. Theological Dictionary of the Old Testament .Michigan . 2004 . P 124

⁴⁵ - I. Mendelson .. On the preferential Status of the Eldest Son . Bulletin of the American Schools of Oriental Research. vol. 156 . 1959 . P 40fn

⁴⁶ - N. Postgate.. Early Mesopotamia : Society and Economy at the down History. Routledge . London .1996 . P 93

⁴⁷ - Padony .op.cit .p 47

٣.٣- الصلة بين حاشية اللوح وبقية مضمونه :

يتعلق مضمون الحاشية بالوصية في أن يتعلم ابن الولد الأكبر (حفيد رب الأسرة) بدلاً من العمل في الملابس! وأن يجلس في المنزل (الأسطر 33.36).

لم تحدد الوثيق القانونية ماهية هذا التعلم، هل هو حرفة جديدة؟ أم التعلم بمعنى التحصيل الدراسي (نسخ ونقش الألواح الطينية)، ونرجح الاحتمال الثاني، لأنه لو كان التعلم بمعنى الحرفة الجديدة، لكان رب الأسرة بالتأكيد قد حددها في الوثيقة. والواضح أن الحفيد كان ما يزال قاصراً، لعدم ذكر اسمه في الوثيقة⁴⁸.

ويعرض في هذا الصدد تساؤل عن سبب ابتلاء الحفيد بعمل بدني مع وجود والده (الابن الأكبر) على قيد الحياة؟ من المحتمل أن والده كان عاجزاً عن إعالته لسبب ما، وإذا كان ذلك صحيحاً، فإنه يفسر أيضاً سبب تبني رب الأسرة ولداً في ظل وجود أولاد آخرين له⁴⁹.

وبذلك يتضح أن سبب تبني رب الأسرة لـ (Anani-Sarri) مع وجود أولاد آخرين له، هو الحاجة لهذا الشخص نتيجة عجز الابن الأكبر لرب الأسرة، فتم تزويجه من ابنة رب الأسرة وتبنيه، وبالتالي يمكنهما أن ينالا الإرث مثل بقية الأخوة، فيضمن رب الأسرة ” الإعالة والإعانة“ من الزوج المتبنى من جهة، وتتلقى ابنته (زوجة المتبنى) حصة إرثية كباقي إختوتها.



⁴⁸ - Snell . op.cit . P 168

⁴⁹ - Snell . op.cit . P 169

خاتمة :

ظهر لنا . بعد الدراسة . أنه على الرغم من عنوانه اللوح المسماري القانوني على مغلفه الطيني بأنه عملية ” تبني ” أو إنشاء ” بنوة ” ، فإنه في الواقع قد تضمن تصرفاً قانونياً خاصاً أنشأه رب أسرة لإدخال شخص متبنى وزوجته ضمن قائمة ورثته في المستقبل ، وملنا في تفسير أسباب هذا التصرف القانوني أنه قد جاء نتيجة عجز ما أصاب الابن الأكبر لرب الأسرة ، مما اضطره لتبني شخص غريب عن الأسرة وتزويجه من ابنته ، من أجل أن يضمن رب الأسرة الإعانة والإعالة من قبل الولد المتبنى ، وحرص في نفس الوقت على أن تتلقى ابنته حصة إرثية كباقي أفراد الأسرة .

ويمكن أن نستنتج من هذا التصرف القانوني بأن الابنة في ” تل القطار ” كانت تفقد حصتها الإرثية في حالة زواجها ، وإلا لما وجد داع لتبنيها إن كانت تستحق الإرث في حالة الزواج أو عدمه ، ولذلك استخدمت حيلة قانونية تم بموجبها تبني الابنة كوريثة لزوجها ، وبذلك تنال حصة إرثية كباقي أفراد الأسرة . أي أنها قد تلقت الإرث من الناحية العملية .

وقد ذهب المنقبون الأثريون الأستراليون في ” تل القطار ” إلى القول: بأن هذا اللوح المسماري هو اللوح الوحيد المكتشف في التل ، واعتقدوا بأنه يعطي الأمل . كما في مملكة إيمار . بوجود المزيد من الألواح الحثية في ” تل القطار ”⁵⁰ ، ولكن الواقع المادي للتل خيب ظن أعضاء البعثة الأثرية الأسترالية ، حيث اختفى الموقع عام ١٩٨٨ نتيجة تشييد ” سد تشرين ” في منطقة التل ، وبقي لوحنا . وبحكم الواقع . اللوح المسماري الوحيد المكتشف في ” تل القطار ” ، الأمر الذي يعطيه أهمية خاصة واستثنائية .

⁵⁰ - Culican – op.cit . P 59

المراجع

: BOOKS

المجلد السادس

- 1- AKKERMANS P (ed) ..1996 . Tell Sabi Abyad . The Late Neolithic Settlement .vol. II. Istanbul .
- 2- CHAVALAS M .. 1996..(ed).. Emar : The History .Religion .and Culture of the a Syrian Town in the late Bronze Age . CDL Press .Pethesda . Maryland .
- 3- FISHER L.. ed.. 1971. The Claremont Ras Shamra Tablets . Pontaficium Institutum Biblicum . Roma.
- 4- FRONZAROLI P ..(ed) .1992 . Literature and Literary Language at Ebla . Universita di Firenze.
- 5- JOHANNES B..2004. Theological Dictionary of the Old Testament .Michigan
- 6- POSTGATE JN ..1996 . Early Mesopotamia : Society and Economy at the down History. Routledge . London.
- 7- WEISS H.. (ed) .. 1984 . Ebla to Damascus . Art and Archaeology of Ancient Syria . Smithsonian Institution .Washington.
- 8- WESTBROOK R .JASNOW R.. 2001. Security for Debt in Ancient Law . Leiden.

ARTICLES :

- 9- ARCHI A.. 1993. A seal Impression from El-qitar / Tell Abnu (Syria) . Anatolian Studies (XLIII) . PP 203-206

- 10-ARCHI A.. 1997. Studies in the Ebla Pantheon II. *Orientalia* 66(4) .PP: 415-425
- 11-BECKMAN C.. 1988. Three Tablets from the Vicinity of Emar. *Journal of Cuneiform Studies* .40 (1). PP :61-68
- 12-BUCCELLATI G.. 1984. Introduction . in : *Terqa Final Reports NO.1. Bibliotheca Mesopotamica* (16)
- 13-CULICAN W . MECCLELLAN T.. 1983-1984 . *El-qitar* :First Season of Excavations .1982-1984 . *Abr- Nahrain* (XXII). PP: 29-63
- 14-DALLY S. TEISSIER B ..1992. Tablets from the Vicinity of Emar and Elsewhere . *Iraq* (LIV) PP: 83-111
- 15-FALES F.. 1996 . An Aramic Tablet from Tell Shioukh Fawqani .*Syria . Semitica* (46) PP : 89 -111
- 16-KILMER A.. 1974. Symbolic Gestures in Akkadian Contracts from Alalakh and Ugarit . *Journal of the American Oriental Society* .94 (2). PP : 177-183.
- 17-KWASMAN T .. 2000. Tow Aramic Legal Documets. *Bulletin of School of orient and African Studies* 63 (2) PP: 274-283.
- 18-MENDELSON I.. 1959. On the preferential Status of the Eldest Son . *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* (156) .
- 19-PADONY C..1988. An adoption and Inheritance contract from the reign of IGGID – LIM of HANA . *Journal of Cuneiform Studies* (43-44).
- 20-POSTGATE J N..1993 .The Four “ New- Assyrian “ Tablets from

- SEH HAMAD . State Archives of Assyria Bulletin .vol (VII) .issue
(2).
- 21-SNELL D ..1984 . The Cuneiform Tablet from El-qitar . Abr-
Nahrain (XXII). PP: 159- 170.
- 22-SZUBIN H.Z . PORTEN B ..1983 . Litigation concerning
Abandoned Property at Elephantine. Journal of Near Eastern
Studies 42 (4).
- 23-VAV DER TOORN K.. 1995. The Domestic Cult at Emar. Journal
of Cuneiform Studies (47). PP: 35- 49.
- 24-WESTBROOK R ..1991. The Phrase “ His Heart is Satisfied “ in
Ancient Near East Legal Sources . Journal of the American Oriental
Society 111(2). PP:219-224 .
- 25-WESTBROOK R .. 2002 .Social Justice and creative Jurisprudence
in late Bronze Age Syria – Journal of the Economic and Social
History of the Orient. vol. 44. no(1).
- 26-ZACCAGNINI C .. 1994.. Feet of clay at Emar and Elsewhere.
Orientalia 63 (1).

